أولا ـ نسب الدولة :

تنتسب الدولة الزيانية إلة قبيلة بني عبد الواد الزيانية إحدى فروع قبيلة زناتة البترية[1]، وكانت قبيلة بدوية حرفتها الرعي والبحث عن المناطق الصالحة له ولماشيتهم من الزاب إلى الأوراس[2] وقد كان لهم دور كبير في تارخ المغرب الإسلامي منذ عهد الفتوح وقد ساهموا في عمليات الفتوح لأنهم في طبيعتهم يشبهون العرب إلى حد كبير كما تذكر المصادر.

وكان بنو عبد الواد يشكلون نسبة كبيرة من ساكنة المغرب الأوسط حرفتهم الأساسية الرعي ينتجعون بين المناطق الممتدة من فكيك جنوبا ومديونة (وهران) وجبل راشد (جبال لعمور حاليا)[3]، وكانت لهم حروب كثيرة مع الموحدين الذي استولو على المغرب الأوسط بداية من عهد عبد المؤمن الخليفة الموحدي، لكن مع الصراعات المتوالية بينهم وبين الموحدين اتخذهم خلفاء عبد المؤمن في خدمته فكانو في حماية الدولة الموحدية، بل إن الموحدين منحوا كامل المغرب الأوسط لزناتة ومنهم بنو توجين وبني راشد، فكانوا خير انصار للدولة الموحدية[4].

لا شك أن الضعف الذي اعترى الدولة الموحدية في المنتصف الأول من القرن السابع الهجري كان له دور فعال في استقلال اقاليم الدولة الموحدية عن السلطة المركزية، وكذا سوء استعمال السلطة من طرف بعض الولاة مع الرعية، ومنهم أبو سعيد عثمان بن يعقوب المنصور الخليفة الموحدي وأخ الخليفة المأمون 624 – 630 هـ / 1214 – 1221 م، حيث أساء السيرة مع بني عبد الواد حينما كان واليا على تلمسان، واشتط في جمع المغارم والضرائب منهم[5].

وكان زعيم بني عبد الواد جابر بن يوسف سياسيا محنكا إذ استطاع ردع الوالي الموحدي حينما أرسل طاعته للخليفة الموحدي، وشاكيا له في نفس الوقت سوء سيرة هذا الوالي فثبته الخليفة واليا على اقليم تلمسان وما والاه[6] منذ سنة 627 هـ/ 1230م فكانت النواة الأولى للدولة الزيانية، وأول

---

[1] أحمد مختار العبادي، دراسات ...، ص 198 ، أنظر أيضا، محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م، ص 16 .

[2] حسن الوزان، مصدر سابق، ص 7 .

[3] ابن خلدون، تاريخ ...، ج7 ، ص 148 .

[4] للمزيد حول ظهور بني زيان على الساحة المغربية وإقامة دولتهم ، أنظر، محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق ، محمود آغا بوعياد، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011م، ص 111 .ومابعدها .

[5] نفسه، ص 112 .

[6] التنسي، المصدر السابق، ص 113 .

خطواته كانت إخضاع القبائل المتمردة عليه ومن أهمها ندرومة التي حاصرها سنة 629 هـ/ 1232م[1]، لكن أصابه سهم أثناء الحصار فقتل، وخلفه على القبيلة إبنه الحسن، ثم تنازل عن رياستها لعمه عثمان بن يوسف الذي كان معروفا بالشدة، فُعزل وعُين مكانه أبو عزة زيدان بن زيان سنة 631 هـ/ 1234 م، هذا الأخير الذي واصل المسيرة في توحيد القبائلإلا قبيلة بني مظهر التي تمردت عيه فحاربها لكنها قتل أثناء معاركه معها فخلفه أخوه يغمراسن بن زيان سنة 633 هـ/ 1236 م[2]، وهكذا برز بنو زيان إلى الساحة السياسية مع إبقائهم الخطبة لخلفاء الدولة الموحدية[3].

ثانيا ـ قيام الدولة الزيانية :

استقر الملك ليغمراسن بن زيان حيث اتخذ من مدينة تلمسان قاعدة له، وآثر في نفس الوقت أن يبعث بفروض الطاعة إلى الخليفة الموحدي الرشيد بن المأمون الموحدي 630 – 640 هـ/ 1232 – 1242 م، وبهذا حقق خطوة هامة حين اعترف به الخليفة الموحدي وقلل من حظوظ منافسيه على الزعامة من القبائل أو من الدول المجاورة، وهو ما أورده ابن خلدون حين ذكر يغمراسن "ظفر بالسلطان وعلا كعبه على سائر أحياء زناتة ونفسوا عليه ماآتاه الله من العزوأكرمه به من الملك فنابذوه العهد وشاقوه الطاعة"[4]

1 ـ أبو يحيى يغمراسن بن زيان (633 – 681هـ / 1235 – 1282 م):

وهو أول سلاطين الدولة الزيانية عمل على تقريب جميع القبائل إلى صفه سواء كانت بربرية أو عربية، كما أشرك العناصر الرومية والأغزاز في جيشه حماية للدولة، كما استفاد من خبرة الأندلسيين الذين وفدوا إلى تلمسان في فترة حكمه، واستحدث مجلسا للوزراء والكتاب، وبذلك برزت تلمسان بدورها كحاضرة فتية للمغرب الأوسط[5]، ولم ينس في المقابل أن يُهادن الموحدين، فكان يرسل بالهدايا

[1] ابن خلدون، تاريخ ...، ج7، ص 153 .
[2] التنسي، المصدر السابق، ص 113 .
[3] أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الخزرجي النصري ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ط 1، تحقيق، هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، 1421 هـ / 2001 م، ص 63 .
[4] ابن خلدون، تاريخ ...، ج7، 164 .
[5] ابن خلدون، تاريخ ...، ج7 ، ص 163 .

بالهدايا والعطايا للخليفة الرسيد الموحدي[1]، وكان هذا التقارب سببا في المؤامرات من الحفصيين ومن بعض قبائل زناتة للفتنة بين الطرفين.

كان هذا التقارب مصدرا للمشاكل إذ تحرك أبو زكريا الحفصي صوب تلمسان وحاصرها لكن يغمراسن تركها فارا إلى جبال تلمسان، وعرض ابو زكريا الأمر على أفراد من زناتة فرفضوا، فظهرت غي هذه الأثناء سوط النساء أم يغمراسن وعقدت صلحا مع أبي زكريا بموجبه يدفع يغمراسن للحفصيين ضريبة مقدارها مائة ألف دينار مقابل التبعية للحفصيين[2]، ولم يقف السعيد الخليفة الموحدي مكتوف الأيدي بل تحرك صوب تلمسان لمعاقبة يغمراسن، هذا الأخير الذي لم ينتظر بل إنه اصطدم بجيش الموحدين بكل شجاعة وأنزل به هزيمة ساحقة سنة 646 هـ/ 1248 م.

كان لهذا الإنتصار صدى كبير في المغرب الإسلامي، وبواسطته استطاع يغمراسن أن يمد نفوذه إلى وجدة غربا ومن الجنوب إلى الصحراء[3]، واكتفى بهذا التوسع لأن المرينيين بقيادة يعقوب بن عبد الحق وقفوا حائلا بينه وبين طموحاته، حتى أن يغمراسن بن زيان أوصى ولي عهده عثمان بعدم التعرض لهم أو مجابهتهم نظرا لقوتهم[4]، ومن جانب الحفصيين عمل يغمراسن على تمتين الروابط الأسرية حيث خطب إبنة السلطان الحفصي أبي إسحاق إبراهيم لإبنه عثمان، وشاءت الصدف أن يتوفى في نفس وقت الزفاف فخلفه إبنه عثمان[5] .

2 ـ أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن (681 – 703 هـ/ 1282 – 1303 م):

استهل عثمان حكمه بالقضاء على المتمردين وإخضاع المدن التي خرجت عن طاعته ومنها تنس ومازونة سنة 686هـ/1287 م[6]، وفي الجانب الغربي عادت المشاكل بين الزيانيين والمرينيين على إثر اعتلاء يوسف بن يعقوب الحكم 685هـ/1286م وبذلك أخل هؤلاء بالمعاهدة المبرمة في عهد

[1] التنسي، مصدر سابق، ص 116 .
[2] نفسه ، ص 118 .
[3] ابن الأحمر، روضة ...، ص 47 .
[4] ابن خلدون، تاريخ ...، ج7، ص 189 .
[5] التنسي، مصدر سابق، ص 129 .
[6] التنسي، مصدر سابق، ص 130 .

يعقوب، كما حاول المرينيون غزو تلمسان مرات عديدة، تكللت في الأخير ببناء مدينة المنصورة غرب تلمسان[1]، الأمر الذي ضيق على بني زيان ودام هذا الأمر إلى غاية 703هـ/ 1303م، وهو تاريخ وفاة عثمان بن يغمراسن الزياني.

3 ـ أبو زيان محمد بن عثمان الأول (703 – 707 هـ/ 1303 – 1307 م) :

واصل أبو زيان مقاومة الحصار المريني طيلة فترة حكمه ودافع عن تلمسان بكل بسالة بالرغم من هروب أهلها فلم يبق من المدافعين عنها إلا القليل، وكانت وفاة يوسف بن يعقوب المريني فرصة لطلب المرينيين النجدة من بني زيان على إثر ثورة أبي سالم وأبي يحيى ضد المرينيين، فكانت هذه فرصة لفك الحصار مقابل المشاركة في القضاء على التمرد، وبذلك تفرغ أبو زيان وأخوه أبي حمو لإعادة إصلاح ماتهدم وجمع الجيش، كما عملا على إعادة كثير من المناطق إلى الطاعة، إلى حين وفاة أبي زيان سنة 707 هـ/ 1303م[2].

4 ـ أبو حمو موسى الأول (707 –718 هـ/ 1307 – 1318 م):

عمل أبي حمو على التفرغ للبناء والتشييد وإعادة الاهتمام بالجيش الذي يعتبر الركيزة الأولى لسيادة الدولة، كما عل على استرجاع السيدة على المنطقة الشرقية إلى ناحية قسنطينة، وفي الناحية الغربية أعاد أراضي الدولة إلى غاية وجدة[3] ، كما أكثر من الرهائن لحفظ ولاء القبائل وأنزلهم بمدينة تلمسان[4] ، وبالرغم من النجاحات التي حققها أبو حمو إلا أن المؤامرات دمرت عرشه وأودت بحياته على يد إبنه أبو تاشفين الأول[5] (718 – 738 هـ/ 1318 – 1337 م) الذي عمل على إقصاء بني يغمراسن لمنافسته في الحكم حيث نفاهم إلى الأندلس، وتركزت أعماله في تشييد الحصون

[1] أنظر ماأسسه المرينيون في تلمسان ونواحيها ، ابن مرزوق التلمساني، مصدر سابق، ص 402 وما بعدها .
[2] التنسي، مصدر سابق، ص 131 ، أنظر أيضا، ابن أبي زرع، الأنيس ...، ص 286 .
[3] التنسي ، مصدر سابق، ص 110 .
[4] ابن خلدون، تاريخ ...، ج7، ص 215 .
[5] نفسه، ص 219 .

والقصور وأهم ما ركز عليه طيلة فترة حكمه حصار المدن الشرقية مثل بجاية وقسنطينة محاولا انتزاعها من الحفصيين[1].

ثالثا ـ ضعف وسقوط الدولة الزيانية :

منذ أن سقطت الأندلس 897 هـ/ 1492 م، أضحت جل شواطئ المغرب الإسلامي عرضة لهجمات الاسترداد الاسبانية وكانت الدولة الزيانية عرضة لهذه التهديدات ومنذ أن تولى السلطان الزياني محمد الخامس الثابتي الحكم (910 – 921 هـ/ 1505 – 1516 م) اشتدت الضربات الاسبانية والاستيلاء على المدن الواحدة تلوى الأخرى باحتلالهم لوهران وبجاية سنة 915 هـ/ 1510 م[2]، إضافة إلى تدخلهم في شؤون الحكم ودعم المناوئين للسلطة ، حيث قامو بتحريض يحيى الثابتي على السلطان فاستقل بمدينة تنس[3].

كثرت الاضطرابات في الدولة الزيانية في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، وبدأ الحكا الأواخر بالاستعانة بالاسبان على بعضهم البعض حتى ظهر الأتراك على الساحة وحاولوا في كم من مرة رأب الصدع، حتى كان حكم آخر السلاطين الزيانيين الحسن بن محمد بن عبد الله الثاني (956 – 961 هـ/ 1550 – 1554 م) الذي حرره الأتراك بقيادة حسن باشا التركي من حصار السعديين وأنزل بهم هزيمة مذلة، حيث تولى الحكم باسم الأتراك بدون شروط[4]، لكنه فشل في تسيير أمور تلمسان، فاجتمع عليه علماء تلمسان وخلعوه عن الحكم سنة 962 هـ/ 1552م، فاغتنم صالح رايس التركي الفرصة وضم تلمسان وما يليها إلى إلى الجزائر مُنهيا بذلك أمر الدولة الزيانية[5].

[1] نفسه، ص 223 ، أنظر أيضا، التنسي، مصدر سابق، ص ص 143 – 144 .
[2] أنظر بالتفصيل عن احتلال مدينة وهران، يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ويليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 م، ص 40 وما بعدها .
[3] أحمد توفيق المدني،حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792 م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968 م، ص ص 107 -108 .
[4] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر ، ص 76 .
[5] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 337 وما بعدها .

رابعا ـ نظرة على نظام الحكم :

تلقب حكام الدولة الزيانية بلقب السلطان حيث تكرر هذا اللقب في المصادر التاريخية، كما أضاف السلاطين الزيانيون ألقاب إلى أسمائهم كالمتوكل على الله، ولم يتلقب هؤلاء بلقب الخلافة على عكس الدولة الموحدية.

وكان للدولة الزيانية عملتها الخاصة بها رُسم عليها أسماء سلاطينها كما كانت العملة الموحدية متداولة أيضا في الدولة[1]، وجرى الزيانيون على عادة الدول في تولية العهد فقد كان الإبن يتولى الحكم مكان أبيه أو لمن يُولى العهد مثلما حدث مع يغمراسن الذي ولى العهد لابنه عثمان بعدما توفى إبنه الأكبر يحيى[2]، كما عرفت الدولة الزيانية المناصب المعروفة في الدولة ومنها الوزير الذي كان بمثابة نائب السلطان في شؤون الحكم[3]، وعرفت الدولة الزيانية وظيفة أخرى وهو صاحب الأشغال ودوره يكمن في حفظ أموال الجباية ومحاسبة العمال وتسجيل كل ما يرد إلى بيت المال ومايصرف منها، وحفظ وتسجيل أملاك السلطان الزياني[4].

[1] صالح بن قربة، المسكوكات المغربية من الفتح إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 م، ص 27 .
[2] التنسي، مصدر سابق، ص 160 .
[3] بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993 م، ص 115.
[4] أبي حمو موسى الثاني، مصدر سابق، ص 107 .